دلالة العدد النحوية في القرآن الكريم

د. زاهدة عبد الله محمد
كلية التربية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٨/١١/١٢ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٩/٢/١٩

ملخص البحث :

القرآن الكريم بلغته الصافية الجميلة وتراكيبه الممتعة مورد لكثير من الدراسات ، فالتركيب القرآني ينطوي على أسرار كثيرةٍ فينبغي طرق كل باب يفضي إلى الإفصاح عن تلك الأسرار.

وللعدد ميزته الخاصة فقد يوقع السامع على خلاف المقصود إن لم تفهم دلالته ويُعرف مفسّره ولاسّيما في النصوص القرآنية . لذا فإن البحث يهدف إلى الكشف عن هذه الدلالة فيلتزم منحىً تطبيقياً في أربعة محاور يسبقها رؤية في مفهوم العدد وموقعه في اللغة العربية لتمهد الدخول إلى تلك المحاور. اختص المحور الأول بدلالة العدد النصية ، واختص المحور الثاني بدلالة العدد الظنية ، أما الثالث فاختص بما هو ملازم للعدد ذلك هو المفسّر لكنه ورد محذوفاً بدلالة قرينة عليه. وأما الرابع فتناول المفسّر المحذوف وليس من قرينة دالة عليه .

Number in the Holly Qura'n :
A Semantic and Linguistic Study

Dr. Zaheda Abdullh Mohammed
College of Education / University of Mosul

Abstract:

The Holly Qura'n , in its glorious language and interesting structures is an enrichment for so many studies. The structure of the Holly Qura'n includes many secrets which should be studied carefully to be revealed . Number has its own features . The hearer may misunderstand the meaning if he does not get the word . This paper aims at revealing the semantics of number so that the subject can be divided in four sections proceeded by a vision of the concept of number and its

position in Arabic language in order to prepare for the entry into these sections. The first section is devoted to the semantics of textual Number. The second concentrates on the semantics of the doubted Number. The third studies what equals Number : it is the omitted interpreter . The last section explains the omitted interpreter, but with nothing that leads to its meaning.

رؤية في مفهوم العدد

لمادة (عدّ) في المعاجم العربية معان فـ " عددت الشيء عداً ، حسبته وأحصيته"[١]

والعدد : اسم يقع على المذكر والمؤنث ليبين ما العدد .[٢]

وقيل العدّ : إحصاء الشيء ، عده ، يعدّه عدّا وتعداداً .[٣]

وهو الكمية المتآلفة من الوحدات .[٤]

أما العدد اصطلاحاً فـ " يدل على ما يحصى ويحسب ومقدار ما يعدّ وتأشير ابتداء الشيء وانتهائه ، مع اعتماد وحدة حسابية للزمن أو أجزاء الوقت والقياسات الرياضية والحجوم "[٥]

وقد وردت لفظة (عدّ) واشتقاقاتها في القرآن الكريم في مواضع متعددة قال تعالى (لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا){٢٨} [الجن٢٨]

" فعددا " هنا تشير إلى معنيين :

الأول : أحصى كل شيء معدوداً فيكون نصبه على الحال ، يقال عددت الدراهم عّدا، وما عُدّ فهو معدود وعدد(٦) .

والثاني : (أحصى كل شيء عددا) أي إحصاء فأقام (عددا) مقام الإحصاء لأنه بمعناه فلمعدد يطلق على القليل ومنه قوله تعالى :(وقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً){٨٠ } [البقرة]و قوله تعالى : (وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ){٢٠٣} [البقرة] وهي أيام التشريق ثلاثة بعد يوم النحر[٧] . وما جمع بألف وتاء يدل على القلة .

واختلف النحاة في وضع حدّ للعدد ، قال ابن الحاجب" ما وضع لكمية أجاد الأشياء"[٨] فالعدد هو الكمية واسم العدد ما دل على كمية المعدود . وقد لمح الرضيّ انحراف حدّ ابن الحاجب عن وجهته المطلوبة لأن الواحد والاثنين لا يدخلان في هذا الحد والأولى عنده (الرضي) أن يقال في حد العدد (ما وضع لكمية الشيء)[٩] وذلك ليخرج نحو رجل ورجلان ويدخل واحد واثنان في التعريف .

أما خالد الأزهري فحدّ العدد بقوله : "هو ما ساوى مجموع حاشيتيه القريبتين أو البعيدتين على السواء ، كالاثنين فإن حاشيته السفلى واحدة ، والعليا ثلاثة ومجموع ذلك أربعة ونصف الأربعة اثنان ، ومن ثم قيل الواحد ليس بعدد لأنه لا حاشية له "[١٠] والمراد به هنا الألفاظ الدالة على المعدود .

فالعدد هو الذي يدل على كمية الأشياء المعدودة جامدة أو متحركة ، ويسمى العدد الأصلي وقد يدل على ترتيبها فيسمى العدد الترتيبي .[١١]

وذكر المبرد أن الأعداد الأصلية مابين (١ – ١٠) لأن الأعداد الأخرى ترجع إليها عن طريق الجمع أو التضعيف .[١٢]

وذهب ابن يعيش[١٣] إلى أن أصول الأعداد اثنتا عشرة لفظة هي :

الواحد إلى العشرة والمائة والألف ، وما عداها من أسماء العدد فمتشعب منها .

فالعدد الأصلي أربعة أنواع :

١- مفرد هو من واحد إلى العشرة ويكون تميزه جمعاً مجروراً

نحو : اشتريت خمسة كتب وثلاث مجلات .

ويضاف إلى العدد المفرد مائة وألف ويكون تمييزها مفرداً مجروراً

نحو : مائة كتاب وألف مجلةِ .

٢- المركب من أحد عشر – تسعة عشر ويكون تمييزه مفرداً منصوبا

نحو : حضر ثلاثة عشر رجلاً وخمس عشرة امرأة .

٣- ألفاظ العقود من عشرين – تسعين ويكون تميزها مفرداً منصوباً

نحو : يعمل في المصنع عشرون عاملاً .

٤- المعطوف من واحد وعشرين – تسعة وتسعين ويكون تمييزه مفرداً منصوباً أيضاً .

أما العدد الترتيبي فهو : المفرد من الأول – العاشر ، المركب من الحادي عشر – التاسع عشر فضلا عن المعطوف وألفاظ العقود .

والعدد من المبهمات القاصرة عن الإفادة مفردة فهو يفتقر إلى مقيد يفسره يأتي بعده لينجلي إبهامه ويتم معناه إذ يتعذر أن يقع الاسم خارج التركيب فحين نستعمل اسما لابد أن نصغه في إحدى حالات الإعراب الثلاث فيكون مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً بحسب احتياجه إلى أن يخبر به أو يخبر عنه[١٤] .

" فالألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب "[١٥]

ويربط النحاة مفهوم المبهم بحاجة اللفظ إلى اللفظ لقصوره مفرداً والعدد من الألفاظ التي فيها إبهام وضعاً فيرفع هذا الإبهام بالتمييز (المعدود) الذي له قواعد وأحكام يختلف فيها عن العدد كما لاحظنا .

دلالة العدد في القرآن الكريم

الأصل في العدد أن يكون دالاً على معناه قطعاً ، فالخمسة تدل على معناها لا أكثر منها ولا اقل ، قال البيضاوي : " التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص "[١٦]

فإذا أطلق العدد فأن المتلقي يحمله على معناه الذي وضع له وتكون دلالته نصية وقد ورد في القرآن الكريم بهذه الدلالة في اغلب الآيات ، وهذا ما سنشير إليه في المبحث الآتي .

الأعداد النصية

من الأعداد التي لا تحتمل إلا الدلالة القطعية (واحد واثنان) ف

فإن هذين العددين اراد بهما الكثرة لأنهما لم يوضعا للجمع أصلاً وهما ليس بحاجة إلى المفسر .

وقد تكرر ذكرهما في القرآن الكريم في مواضع مختلفة من ذلك

قوله تعالى : (وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ){٥١}[النحل]

وقوله تعالى : (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ){٥٢} [الأنبياء]

وقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) {١} [النساء]

وقوله تعالى : (فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء){٢٥} [القصص]

فالعددان (واحد واثنان) وردا للتوكيد والعدد المؤنث (إحداهما) جاء فاعلاً مرفوعاً بضمة مقدرة .

ووردت لفظة (فرادى) في سياقين مختلفين دالة على العدد (واحد)

قال تعالى : (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) {٩٤} [الأنعام]

وقال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى) {٤٦} [سبأ]

وفي الموضعين جاءت لفظة (فرادى) حالاً . فالعدد واحد وواحدة ورد في القرآن الكريم بصيغ مختلفة في واحد وستين موضعاً

أما العدد (اثنان) فقد ورد باشتقاقات ودلالات مختلفة ضمن السياقات التي جاء فيها فذكر بصيغة (أثنين – اثنتين – ثاني – مثنى – مثاني) في واحد وعشرين موضعاً[١٧]

ففي قوله تعالى : (فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ){٢٧} [المؤمنون]

فلفظة (اثنين) جاءت لتوكيد العدد الذي دلت عليه لفظة (زوجين) وزيادة بيان أهميته .
وأشار الزركشي[١٨] إلى انه قد يأتي بمعنى التخصيص عندما يكون بصيغة اسم الفاعل حيث يراد به واحد من ذلك العدد فيكون مضافاً للعدد الموافق له ، كما في قوله سبحانه وتعالى (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ){٤٠}[التوبة] فقوله سبحانه (ثاني أثنين) وهما رسول الله (ﷺ) وصاحبه أبو بكر (ﷺ) لا ثالث لهما تخصيص الرسول (ﷺ) بمخاطبة صاحبه (لا تحزن إن الله معنا)

أما ما زاد على اثنين من الأعداد فقد تكون دلالته نصية وقد تكون ظنية وهنا تبرز وظيفة السياق في تحديد الدلالة .

فالعدد خمسة مثلاً قد لا يدل على حقيقته دائماً لأنه قد يرد معه في السياق ضميمة أو قرينة تجعله يدل على غير حقيقته وهذا ما سنتحدث عنه في ما يأتي من البحث .

١- قال تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ){٢٢٨} [البقرة]

حكم المطلقات أن يتربصن ثلاثة قروء ، وجملة (يتربصن) لفظها أمر على تقدير لام الأمر أي (ليتربصن)[١٩] والفعل (تربصن) متعدٍ بنفسه فلمَ لم يقل (يتربص المطلقات) ؟ لأنه " إذا قدمت الاسم فقلت : زيد فعل ، فهذا يفيد من التأكيد والقوة مال لا يفيده قولك : فعل زيد ، وذلك أن قولك : زيد فعل يستعمل في أمرين : أحدهما ، إن يكون لتخصيص ذلك الفاعل بذلك الفعل ، والثاني تقديم ذكر المحدث عنه بحديث كذا لإثبات ذلك الفعل"[٢٠] لهذا جاء التعبير القرآني لإثبات المعنى للفاعل من غير نظر إلى تعلقه بالمفعول فيكون المتعدي كاللازم فلا يذكر المفعول لئلا يتوهم أن الغاية إثبات الفعل للفاعل من حيث تعلقه بالمفعول".[٢١] و (القروء) جمع كثرة مفرده (قُرء) يجمع على أقرُء وأقراء نحو : قُفل وأقفال .[٢٢]

غير ان القرآن الكريم استعمل جمع الكثرة (قروء) لان هذا الجمع " أكثر استعمالاً في جمع قُرء فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم : ثلاثة شسوع"[٢٣] والذي يرجح أن استعمال جمع الكثرة من باب التوسع في وضع احد الجمعين موضع الآخر .

أما إذا عدنا إلى القياس فينبغي ذكر القُرء بصيغة القلة التي هي الإقراء ، " ولكنهم يتوسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر ...... فالمراد بالمطلقات جميع المطلقات ذوات الإقراء الحرائر وغيرهن وجميعها متجاوز فوق العشرة، فهي مستعملة مقام جمع الكثرة ولكل واحدة ثلاثة أقراء الكثرة فحسن أن يستعمل جمع الكثرة في تمييز الثلاثة "[٢٤]

و (المطلقات) مبتدأ والجملة الفعلية (يتربصن) في محل رفع خبر وهذه الجملة واقعة موقع الآمر أي (ليتربصن) والفعل (تربص) يتعدى بنفسه لأنه تضمن معنى (انتظر)وتطلب الذوق البلاغي أن يحذف المفعول به و تقديره (التزويج) لاقتضاء المقام فيكون (ثلاثة قروء) منصوبا على الظرفية .[٢٥] وقد يكون المفعول (ثلاثة قروء) بمعنى ينتظرن مضي ثلاثة قروء.

أما شبه الجملة (بأنفسهن) فهي توكيد للضمير المتصل المرفوع والباء زائدة لتقوية المعنى وتوكيده . ويبقى الحديث في العدد (ثلاثة) الذي يراد به حقيقته . فقد ورد في القرآن الكريم في (سبعة عشرَ) موضعاً[٢٦] ونلحظ في الآية عامة كثرة ورود صوت النون الذي تكرر (١٤) مرة كان في عدد منها ضميراً متصلاً وفي بعضها الآخر حرفاً مؤكداً وفي هذا التكرار نوع من التوكيد الصوتي فضلاً عن التوكيد الدلالي فصوت النون المجهور الواضح في السمع أعطى الألفاظ قوة ووضوحاً يؤكد المعنى المقصود

٢- قال تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأظنك يَا مُوسَى مَسْحُورًا){١٠١}[الإسراء]

ورد العدد (٩) في القرآن الكريم أربع مرات بدلالات مختلفة[٢٧] غير أن المراد بالعدد (تسع) في هذه الآية الدلالة القطعية ، ويكاد أصحاب معاني القرآن والمفسرون يتفقون على تعدادها وهي العصا واليد واللسان والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم[٢٨] .

وفي الأمر بسؤال اليهود تنبيه على ضلالهم ومعرفتهم التسع الآيات يُظهر لهم صدقك ويزداد يقينك [٢٩] لان تضافر الأدلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب ، واستعمال الفعل الماضي (آتينا ، جاء ، قال) دليل على ان الفعل قد وقع . وأكد الفعل بـ (قد) للتحقيق والتأكيد كأنه قسم محذوف تقديره : والله لقد أتينا ، وجاء التعبير بـ (آتى) دون (أعطى) لان الإيتاء لما هو أيسر وأخف ، أما الإعطاء فهو لما أصعب ، أما مفعولا (آتينا) فهما (موسى وتسع) ومما يدل على ان الآيات تسع إردافها بالصفة (بينات) ، فيجوز إن تكون صفة لـ (تسع) فتكون منصوبة ، وأما إذا كانت صفة لـ(آيات) فتكون مجرورة[٣٠] .

والأولى أن تكون صفة للآيات إذ هي حجج واضحة دالة على نبوة موسى عليه السلام ورسالته .

٣- قال تعالى : (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا){١٦٠} [الأعراف]

ورد العدد (اثنا عشر) خمس مرات في القرآن بدلالات مختلفة [٣١] والذي يعنينا ، دلالته في هذه الآية فقد وقع الخلاف في الآية لأن الأصل في تمييز ما زاد على العشرة أن يكون مفرداً منصوباً نحو : حضر أثنا عشر رجلا واثنتا عشرة امرأة .

قال ابن الحاجب " وتمييز أحد عشر إلى تسعة وتسعين منصوباً مفرداً "[٣٢] وعقب عليه الرضي بقوله : " والجمعية مفهومة من العدد المتقدم والمفرد أخصر فاقتصر عليه "[٣٣] وقال السمين الحلبي : وتمييز (اثنتي عشرة) محذوف لفهم المعنى وتقديره اثنتي عشرة فرقة و (أسباطا) بدل من ذلك التمييز[٣٤] . وقد يكون (قطعناهم) بمعنى صيرناهم فيكون (اثنتي عشرة) مفعولاً ثانياً وقد يكون حالاً بمعنى فرقناهم معدودين بهذا العدد

ويرجح حمل (اثنتي عشرة) على المفعولية أما (أسباطاً) فهو بدل من (اثنتي عشرة) وليس بتمييز لأنه جمع و (أمماً) نعت لأسباط أو بدل بعد بدل وأنث (اثنتي عشرة)لأن التقدير اثنتي عشرة فرقة[٣٥] .

أما الزمخشري فيرى أن (اثنتي عشرة أسباطاً) كقولك اثنتي عشرة قبيلة فإن قلت قلد مميز ما فوق العشرة ، مفرد فما وجه مجيئه مجموعاً ولمَ لم يأتِ (اثنتي عشرة سبطا) فالجواب انه لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد ، وقطعناهمِ اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة ونظيره ، و (أمماً) بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمماً لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة اثنتي عشرة[٣٦].

وانفرد الشعراوي[٣٧] بالإشارة إلى ذكر التمييز فقال نعرف أن لفظ (اثنتي عشرة) يدل على انه مؤنث والمذكور هنا (سبط) وهو مذكر ونحن نعلم انه إذا جمع صار مؤنثا والمراد بالأسباط ، القبائل ومفردها قبيلة وهي مؤنثة وقطعناهم أي كانت لهم من قبل وحدة تجمعهم فأراد الحق أن يلفتنا إلى أنهم من شيء واحد فجاء بكلمة (أسباط) فكانت قبيلة ، وقبيلة مفردة مؤنثة فيقال اثنتا عشرة قبيلة ولا يقال اثنتا عشرة قبائل فوضع أسباط موضع قبيلة لان كل قبيلة تضم أسباطا لذا جاء التمييز مذكراً .

٤- قال تعالى : (وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ){١٥} [الاحقاف]

قال الزجاج : إن اقل الحمل ستة أشهر وان (الأشد) ثلاث وثلاثون سنة وقيل ثماني عشرة سنة وقيل (الأشد) بلوغ الحلم والأكثر أن يكون ثلاثا وثلاثين سنة " لان الوقت الذي يكمل فيه الإنسان في بدنه وقوته واستحكام شبابه أن يبلغ بضعاً وثلاثين سنة[٣٨] ومن بديع هذا الطي في الآية الكريمة أنها صالحة للدلالة على ان مدة الحمل قد تكون ستة أشهر وقد حددت بتسعة أشهر؛ لان الغرض إظهار حق الأم في البر بما تحملته من مشقة الحمل .[٣٩] وقوله (حملةُ وفصاله) وقع مبتدأ معرفا بالإضافة إلى الضمير العائد إلى الإنسان و(ثلاثون) هو الخبر المرفوع وهو لفظ من ألفاظ العقود جاء عن طريق مضاعفة العدد (ثلاثة) عشر مرات مميزاً بـ (شهراً) المفرد المنصوب .

أما قوله (أربعين سنة) فهو منصوب على المفعولية وجاء تمييزه مفرداً منصوباً ثم اتبع العدد بجملة دعائية تصدرها قوله (ربّ ...) في سياق التماسيّ يخرج إلى الرجاء والتوسل والميل الشديد إلى الاقتناع بنعمة الله عليه وعلى والديه.

وتكررت لفظة (حملته ، وحملُه وبلغ وحرف الواو) فجاء التكرار ليزيد التماسك بين وحدات النص

ثم تحول الحديث من الحمل والفصال إلى الحديث عن بلوغ (الأشد) المتمثل بأربعين سنة ، وجاء الإجمال في قوله (إحساناً) أما التفصيل فجاء منبثقا من الاجمال وذلك في التقسيم بـ (حملته أمه كرها) و (وضعته كرها)

وتكرر الضمير الهاء العائد إلى الإنسان في (حملته ، وضعته) ليؤدي وظيفته النحوية (المفعولية) فضلا عن التغاير في المفعول به هنا والاسم الظاهر مع الفعلين (بلغ أشده) و (بلغ أربعين سنة)

وفي مجيء التمييز (سنة) قيمة دلالية تشير إلى التوازن بين عمر الإنسان وهو في سن الأربعين إذ "أكثر ما تستعمل السنة في الخوف الذي فيه الجذب والشدة ، يقال أسنت القوم إذا أصابتهم السنة والعام بما فيه الرخاء والخصب"[٤٠]فناسب اختيار السنة حالة المرء وهو في الأربعين من العمر .

وبذلك فإن اختلاف المواقع الوظيفية للإعداد وعلاقة الإجمال والتفصيل وتكرار الضمائر والأفعال وواو العطف كل هذه العناصر كان لها الدور في الدلالة .

دلالة العدد الظنية

سنتناول في هذا المحور الآيات التي ورد فيها العدد وهو غير دال على كمية الشيء الذي وضع له ، أن الأصل أن يدل العدد على الكمية التي وضع لها فإن دل على خلاف ذلك فإنما يكون لعلة .

١- قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ){٢٧}[لقمان]

نزلت هذه الآية ردّاً على الكفار الذين قالوا ان ما يوردهُ محمد (عليه الصلاة والسلام) سينفد فقال : انه كلام الله وهو لا ينفذ[٤١] .

جاء نظم الآية بإيجاز بديع يرمز إلى غنى الله سبحانه الذي لا ينفد وعمله الذي لا يحد وقدرته على الخلق تلك التي تفوق كل قدرة .

وقد بدأت الآية الكريمة بالحرف (لو) فعلم ان مضمونها أمر مفروض يقصد به الدلالة على أن مضمون الجزاء مستمر الوجود في جميع الأزمنة والأحوال فالمقصود عدم انتهاء كلمات الله حتى في حالة ما لو كتبت بماء البحر كله وجعلت لها أعواد الشجر كلها أقلاماً لا أن كلمات الله تنفد إن لم تكن الأشجار أقلاماً والأبحر مداداً[٤٢] .

فلم يقل سبحانه من شجر وإنما جاء لقول على الإفراد لأنه " أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجره حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحد إلاّ وقد بُريت أقلاما[٤٣] " وفي الكلام من المبالغة في تكثير الأقلام ما يدعو إلى التأمل والعجب .

"وذلك ان الأشجار مشتمل كل واحد منها على الأغصان الكثيرة ، وتلك الأغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم فيبلغ عدد الأقلام في التناهي ما لا يعلم به إلا الله "[٤٤]

وقوله سبحانه (والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ....) يعني ان يكون البحر مداداً ثم يزاد فيه إذا نشف مداده سبعة أبحر فجاء بالعدد (سبعة) دون غيره من الأعداد وهو لا يراد به انحصار الأبحر في سبعة " وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر ، والسبعة خصصت بالذكر من بين الأعداد لأنها عدد كثير يحصر المحدودات في العادة "[٤٥]

فيكون العدد (سبعة) في الآية الكريمة دالاً على التكثير والمبالغة والقدرة العجيبة " ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعاً في الأصل للتكثير وان كان مراداً به التكثير جاء مميزه بلفظ القلة وهو (أبحر) ولم يقل بحور وان كان لا يراد به أيضا إلا التكثير ليناسب به اللفظين، فلما يجوز في سبعة واستعمل للتكثير كذلك يجوز في أبحر فاستعمل للتكثير"[٤٦]

والتقابل بين الإثبات والنفي في جملتي (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) و (ما نفدت كلمات الله) أعطى للنص قيمة تعبيرية فائقة

وجاء الجمع (كلمات) مضافا إلى لفظ الجلالة ليدل على الكثرة بسبب هذه الإضافة .

٢- قال تعالى : (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ){٨٠} [التوبة]

الخطاب للرسول (ﷺ) إذ نزلت الآية بشأن التوبة وقد أفاد الفعل (استغفر) معنى التسوية التي ترد بصيغة الأمر لإفادتها كثيراً ، ومجيء الفعل (أو لا تستغفر لهم) بعد (لا) مجزوماً يجعله في صورة النهي ، ومعنى النهي لا يستقيم في هذا المقام إذ لا يجتمع النهي مع (أو) التي تفيد تخير المخاطب في احد الأمرين مع انتفاء الفائدة على كليهما[٤٧] .

وجزم الفعل (أولا تستغفر) لكونه معطوفاً على فعل الأمر المجزوم بـ (لام الأمر) المقدرة فتكون (لا) هنا نافية .

وروي عن ابن عباس ان الرسول (ﷺ) قال : (لأستغفرن لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله يغفر لهم)[٤٨] فالرسول (ﷺ) قال ذلك إظهارا لرأفته ورحمته لمن بعث إليهم .[٤٩]

وقرينة الحال أفادت ان المراد من العدد (سبعين) الدلالة على الكثرة والمبالغة " فالسبعون جار مجرى المثل في كلامهم – العرب – للتكثير "[٥٠]

وانتصب (سبعين مرة) على المفعولية المطلقة لبيان عدد المرات التي تعنى هنا الكثرة كقولنا أحياناً ضربته خمسين ضربة وما ذلك إلا للمبالغة والتفخيم .

وتتكرر شبه الجملة (لهم) للتأكيد على ان الاستغفار لجماعة المنافقين لا يحقق لهم فائدة وكان لـ(لن) وظيفتان ، الأولى : دلالية إذ جاءت نافية الفعل المضارع (يغفر) المسند إلى لفظ الجلالة (الفاعل)

الثانية : شكلية ، وهي النصب إذ جاء الفعل المضارع (يغفر) منصوباً[٥١] فلن حرف نصب ونفي واستقبال .

وجاء قوله (لن يغفر) لتأييد النفي في المستقبل وان تلك الجماعة لن تشملهم المغفرة أبداً .

وتكرر الفعل (يستغفر) المصاحب للعدد ثلاث مرات وفي هذا التكرار دلالة تفيد تعميق الفكرة التي يحملها اللفظ المكرر ، ويلفت الانتباه كثرة تكرار صوت السين الذي يعد أكثر أصوات الصفير صفيراً وهو يؤكد الضعف والهوان لأولئك الذين لا يجدي الاستغفار لهم مما يؤكد ضعفهم وعجزهم ورود صوت الهاء وهو صوت مهموس رخو ضعيف .

٣- قال تعالى : (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ){٣} [القدر]

المراد بالعدد (ألف) المبالغة والتكثير[٥٢] ، لان تفضيل ليلة القدر بالخير على ألف شهر إنما هو بتضعيف فضل ما يحصل فيها من الأعمال الصالحة واستجابة الدعاء ووفرة ثواب الصدقات والبركة للأمة فيها لان تفاضل الأيام لا يكون بمقدار أزمنتها ولا بما يحدث فيها من حرّ أو برد ولا بطولها وقصرها ، هذه الأحوال غير معتدٍ بها عند الله ولكن الله سبحانه وتعالى يعبأ بما يحصل من الصلاح للناس وما يعين على الحق والخير ففضّل ليلة القدر بما أعدلها من تفضيل ثلث الليل الأخير ، لهذا كله فقد ذهب ابن عاشور إلى ان (الألف) مستعمل للدلالة على المبالغة والكثرة وليس على الحقيقة[٥٣] . ويبقى الكلام عن سبب كون تمييز (الألف) من الآية (شهر)

وليس ليلة مع ان الكلام عن ليلة القدر فقد أراد الله سبحانه أن يُعلمنا بعظمة هذه الليلة وهي ليلة لا تقاس بليال أخر ولا بالأسابيع بل بالأشهر ، ولعل قائلاً يقول : فلمَ لم يقل خير من ألف سنة ؟ والسنة أكثر من الشهر ؟ فجوابه ان الكلام عن شهر رمضان لاعن السنين ، كما ان مجيء شهر فيه رعاية للفاصلة في هذه السورة و ((ليلة) مبتدأ مضاف إلى القدر وهذه الإضافة أكسبت الاسم تخصيصاً وتعريفاً والأصل (هي خير) فأقيم المظهر مقام المضمر تفخيما لشانها وتعظيما لها وجاء الخبر اسما مفرداً ليدل على ثبوت الحكم واستمراره "وبيانه ان موضوع الاسم على ان يثبت به المعنى للشيء من غير ان يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء"[٥٤]

٤- قال تعالى : (يودّ احدهم لو يعمّرُ ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يُعمر) (٩٦) [البقرة]

تتحدث الآية الكريمة عن الهول النفسي المحيق باليهود الذين لا يتمنون الموت ، (لو) مصدرية تفيد التمني وقد أشار ابن مالك إلى ذلك نحو لو تأتيني فتحدثني بالنصب، أصلهُ : وددت لو تأتيني ... فحذف فعل التمني لدلالة (لو) عليه[٥٥] .

والعدد (ألف) لا يراد به حقيقته وإنما يراد به المبالغة في الكثرة ليشمل من (يودّ) إن لا يموت أبداً .

وقد ذهب الزجاج إلى هذا القول فذكر ان المجوس كانت نهاية ما تدعو به لملوكها حين التحية إن يقال له : عشر ألف نيروز وألف مهرجان(٥٦)، وجاء المصدر من (لو يعمرّ) في محل النصب على المفعولية .

و (ما) نافية عاملة و (هو) ضمير عائد إلى احدهم ، اسمها . وجاءت الباء في خبر (ما) لتؤكد الفكرة .

(أن يعّمَر) ، فاعل لاسم الفاعل (مزحزحه) والمعنى ما أحد يزحزحه من العذاب تعميره . وفيه إشارة إلى من لا يزحزحه(٥٧) التعمير –وهو(من أمن وعمل صالحاً)[الكهف ٨٨]

والزحزحة : التبعيد وهو مضاعف من زحّ يزح – زحّاً مثل كبكب من كبّ وفيه مبالغة لكنها متوجهة إلى النفي(٥٨) .

وقد تكرر صوت الحاء في الآية وهو صوت مهموس ، احتكاكه كبير وعميق في الحلق وهو بهذه الصفات يوحي بصوت من يضيق نفسه وصوره من التردد والاضطراب والشعور بعدم حصول ما يتمناه يؤكد هذا قوة صوت الباء المتمثلة بجهره وشدته وصوت العين المجهور المتوسط وكأنه يوحي بصوت ذلك اليائس الذي يحاول المقاومة لتحقيق أمنيته فلا يستطيع فهو في حالة يأس وحزن وندم مع شدة الوطأة النفسية التي يعيشها.(٥٩)

٥- قال تعالى :(مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) {١٦٠} [الأنفال]

المقصود (له عشر حسنات مثلها) فروعي في اسم العدد معنى مميزه دون لفظه وهو (أمثال) والأمثال هنا جمع (مِثل) وهو المساوي(٦٠) .

وجيء له باسم عدد المؤنث وهو (عشر) اعتبار أن الأمثال صفة لموصوف محذوف دلت عليه الحسنة .

فالجزاء على الحسنة بعشرة أضعاف وذلك فضل رحمة من الله سبحانه وتعالى وقد زاد الله في بعض الحسنات فضاعفها سبعمائة ضعف وهذا يقوي دلالة العدد (عشر) على الكثرة فلا يراد به حقيقته .

ويؤكد هذه الدلالة قول الرسول (ﷺ) : (من همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة)(٦١) فصوت العين المجهور القوي مع صوت الشين المتفشي فضلاً عن تكرار صوت الهمزة الحنجرية المقطوعة كل هذا يوحي بالتوكيد وتقوية المعنى .

وفي جانب السيئة قال (فلا يجزى إلا مثلها) ولم يقل : ومن جاء . بالسيئة فيجزى مثلها ، بقصد الاهتمام بجانب نفي الزيادة على المماثلة لذلك جاء بصيغة الحصر الحقيقي[٦٢] . وأعقبه بقوله (وهم لا يظلمون) إظهاراً للعدَل الإلهي .

العدد بين ذكر المفسر وعدمه

يمثل العدد سلسلة من الأرقام تحصن بها الموجودات الجامدة والمتحركة وهذا العدد لابد له من مفسّر لتوضيحه وتبيينه ، لذا يذكر التمييز لبيان ما قبله من ابهام ذات او نسبة وتمييز العدد من نوع إبهام الذات[٦٣]

وقد يحذف هذا التمييز أحيانا فيبقى محله شاغرا لوجوده في البنية العميقة للجملة وقد ذهب د. حمودة إلى ان تمييز العدد لا يحذف ألاّ إذا عُلم من القرائن ومثّلَ له به بـ (عندي عشرون) في جواب من يسأل كم كتاباً عندك ؟ وقولهم : بلغ فلان من العمر ستين ، فيحذف التمييز وهو سنة أو عام لجري العادة على حسابه بالسنين[٦٤] .

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة جاء العدد فيها مفسراً ووردت آيات لم يذكر فيها المفسّر وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث لان الأصل ان يأتي المفسّر بعد العدد موضحاً ومميزاً له فهو متأخر في الوجود عن العدد تالٍ له و ما جاء على الأصل لا يسأل عن علته وما جاء على خلاف الأصل يسأل عن علته . وبعد المعاينة نستطيع ان نجعل الآيات التي حذف فيها المفسر في مطلبين :

الأول : يشتمل على الآيات التي لم يذكر فيها المفسّر لوجود قرينة دالة عليه .

والثاني : يشتمل على الآيات التي حذف فيها المفسّر ولا توجد قرينة دالة عليه وهذا من بلاغة القرآن وروعة الاستعمال .

وفي كلا الأمرين يحذف التمييز للإيجاز أو للتعظيم وقد يحذف للاستهانة و للتقليل من الشأن وقد يحذف لإرادة الإبهام على السامع ليدل على عظم الأمر وتهويله والإبهام على السامع سبيل من سبل البلاغة . والله اعلم

١-الآيات التي لم يذكر فيها المفسر لوجود قرينة دالة عليه[٦٥]

أ. "فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ "{١٩٦}[البقرة]

أضيف المصدر (صيام) إلى العدد (ثلاثة) وجازت الإضافة هنا لان الثاني ليس هو الأول من كل وجه لان الأول عدد ، والثاني معدود والعدد غير المعدود كما ان الأجزاء غير المجزأ فجازت الإضافة[٦٦] .

وذكر الزجاج انه يجوز ان يتوهم المتوهم ان الغرض ثلاثة أيام في الحج أو سبعة في الرجوع ، فأعلم الله عز وجل ان العشرة مفترضة كلها

فالمعنى: المفروض عليكم صوم عشرة أيام كاملة على ما ذكر من تفرقها في الحج والرجوع(٦٧) . فالواو هنا أفادت الجمع ولم تفد أو التخييرية .

وقوله (رجعتم) حمل لنا الدلالة التركيبية وهي (تلك الدلالة التي تستفاد من السياق والنظم بما يشتمل عليه من قرائن الحال والمقام التي تدل على مقصد المتكلم من كلامه)(٦٨)، فدلالة الفعل (رجعتم) للمستقبل ولكن " جاء بلفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه "(٦٩) وقد اختلفوا في معنى قوله (تلك عشرة كاملة) قال الزجاج : لما جاز ان يتوهم متوهم التخيير بين ثلاثة أيام في الحج أو سبعة بدلاً منها إذا رجع لأنه لم يقل : (سبعة أخرى) أزيل ذلك بالجملة (تلك عشرة) ثم قال (كاملة) فقيل كاملة في الثواب وقد تكون العشرة كلها بدل الهدي(٧٠) .

ونقل عن المبرد قوله : (عشرة) دلالة على انقضاء العدد لئلا يتوهم أنه قد بقي منه شيء بعد ذكر السبعة وقوله كاملة تأكيد آخر فيه زيادة توصية بصيامها(٧١) . وجاء مميز العدد (عشرة) محذوفاً أي (أيام) وإثبات التاء في العدد مع حذف التمييز أحسن الاستعمال لكي لا يتوهم ان الواو بمعنى (أو) التخييرية(٧٢) . فالقرينة الدالة على المحذوف هي سياقية وهي قوله (تلك عشرة كاملة) .

ب. "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً" {١٤٢} [الأعراف]

الوعد لموسى (عليه السلام) ان يصوم ثلاثين يوماً يعمل فيها ما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى ، وفي العشر أنزلت التوراة وكُلم موسى (عليه السلام) بقوله سبحانه " وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً "{٥١} [البقرة] وهذا دليل على أن المواعدة كانت أربعين ليلة كاملة(٧٣) .

وحُذف تمييز (عشر) لدلالة الكلام عليه أي وأتممناها بعشر ليالٍ وقوله تعالى" تم ميقات ربه أربعين ليلة وأتممناها بعشر " جملة فعلية أفادت التأكيد ؛ لان قوله تعالى يدل على أنها أربعون ليلة .

وقد تكون للتأسيس لاحتمال ان يذهب الذهن إلى (بعشر ساعات) مثلاً واستبعد الحلبي ذلك(٧٤) . وهو من الآراء النقدية الجيدة التي تحسب له .

فالقرينة الدالة على ان المفسّر المحذوف هو (ليال) قوله تعالى (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) وهو قرينة سياقيه ؛ أما قوله " أربعين ليلة " فاستحسن الزمخشري نصبه على الحال أي تم بالغا هذا العدد(٧٥) .

غير ان فيه نظراً وهو قول أبي حيان : الأصل (فتم أربعون ميقات ربه) ثم اسندَ التمام الى ميقات وانتصب (أربعون) على التمييز فهو منقول من الفاعلية فيكون كقوله تعالى " واشتعل الرأس شيباً(٧٦)" .

ج. "ما يكون مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ "{٧} [المجادلة]

ذكر القرطبي ان هذه الآية نزلت في قوم من المنافقين فعلوا شيئاً سراً فأعلمهم الله أنَّه لا يخفي عليه شيء من ذلك[٧٧] .

(يكون) هنا تامة و (من نجوى) في الأصل مصدر مضاف لفاعله أي يوجد من تناجي ثلاثة ، ويجوز ان تكون على حذف مضاف أي من ذوي نجوى ، وقد تطلق على الأشخاص المتناجين مبالغة[٧٨] . وأما (ثلاثة) فجاءت مجرورة على أنها بدل من ذوى المحذوفة .

وأما قوله (إلا هو رابعهم ، إلا هو سادسهم) فقد جاء العدد على هيئة اسم الفاعل والجملتان الاسميتان (هو رابعهم ، هو سادسهم) في محل النصب على الحال ، أي ما يوجد شيء من هذه الأشياء إلا هو في حالة من هذه الأحوال[٧٩] . فالاستثناء مفرغ من الأحوال العامة . وقرئ (ثلاثة وخمسةً) منصوبة على الحال[٨٠] ، على تقدير يتناجون ثلاثة محذوف صاحب الحال لدلالة النجوى عليه . وجاء تمييز العدد (ثلاثة) محذوفاً تقديره (نفر)[٨١]، وقد دلت القرينة الخارجية (سبب النزول) على هذا التمييز المحذوف .

٢-الآيات التي لم يذكر فيها المميز وليس من قرينة دالة عليه. [٨٢]

أ. (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلا عَشْرًا) {١٠٣} [طه]

أي يخفضون أصواتهم ويخفونها لشدة هول المطلع ، وجملة (يتخافتون) استئنافية ولو اعتمدنا الإعراب الذي ذهب إليه عدد من المفسرين لوجدنا انه انسب للمعنى من الاستئناف وهو ان جملة (يتخافتون) حال أخرى من (المجرمين) في الآية السابقة " يومُ ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً " ف (يتخافتون) وما تحمله من دلالة أقدر ان يظهر حالاً من أحوال الكفار يوم القيامة إذ يذكرون تأسفهم على حالهم في الدنيا استقصاراً لمدة لبثهم فيها وهم قد علموا يقينا – يوم القيامة – أن لا موت وإنهم خالدون في العذاب ، فكل ما كان من الزمان في الدنيا قصير مقارنة بالآخرة لذلك كانوا يتسارّون بينهم[٨٣] . ومن يتخافت يكون خائفاً يختار اقل الكلمات التي تودي المعنى المراد فهم المجرمون في دهشة من شدة الموقف الذي يعانونه يعيشون في حالة نفسية مضطربة بوجل وخوف ورعب ينسون معها الزمان فلا يتذكرون كم لبثوا من الأيام أو السنين وقد جاء لفظة (عشراً) فاصلة وهي تدل على توقع عدد منهم عدد أيام بقائهم وأصوات هذه اللفظة بضعفها تدل على ضعف المجرمين وعجزهم واختلفوا في بيان المفسّر في هذه الآية ، فذهب الزمخشري[٨٤] إلى أن المحذوف هو (أيام) ويبقى السؤال عن علة حذف التاء من العدد ، فأجاب السمين الحلبي[٨٥] بأنه إذا لم يذكر المميّز في العدد المذكر جازت التاء وعدمها ، وسمع من كلام العرب : صمنا من الشهر خمساً . والصوم إنما هو في الأيام دون الليالي .

وذهب القرطبي[٨٦] إلى أن المميز المحذوف هو (ليالٍ) ولعلة ذهب إلى هذا التأويل لما فُهم من سياق الآية ، فإنهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا والليالي أقصر من الأيام زمنا في الغالب ومما يقوي هذا الرأي ما جاء في الآية التي بعدها من قوله تعالى " إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلاّ يوماً " فأعلمهم يحكي مدة لبثهم بأنها لم تكن إلاّ يوماً .

وقد يقال ان تقدير (أيام) أولى ، فان أرجحهم عقلاً قال (ان لبثتم إلا يوماً) في معرض الرد عليهم فأجاب باليوم .

والظاهر جواز التقديرين ، وحذف المميز ابلغ من ذكره إمعانا في قصر الزمن ، فهم لم يلبثوا إلا عشراً ، فالحذف يفيد التقليل أكثر وسياق الآية التي بعدها يؤيد هذا .

ولا بد من إتمام الكلام بقول الشعراوي[٨٧] بشأن الآية إذ ذهب إلى أن قوله تعالى : " أن لبثتم إلا عشراً " يقول بعضهم لبعض ما لبثنا في الدينا إلا عشرة أيام ثم يوضح القرآن بعد ذلك ان العشرة هذه تمثل كلامهم السطحي بدليل قوله تعالى" إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً " فانتهت العشرة إلى يوم واحد ثم ينتهي اليوم إلى الساعة في قوله تعالى حكاية عنهم " وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ "{٥٥} [الروم] فكل ما ينتهي هو قصير والله اعلم .

ونلمح في الآية عموما كثرة ورود صوت الهمزة المقطوع وكأنه يشير بإيقاعه المتميز إلى نوع من التأكيد وتقوية المعنى من جهة المتخافتين ومن جهة الله سبحانه الذي يعلم ما يُسّر وما يخفى .

ب. " وَالْفَجْرِ {١} وَلَيَالٍ عَشْرٍ " {٢} [الفجر]

جاء المميز في هذه الآية محذوفاً وقد اختلف في تقديره فذهب عدد المفسرين[٨٨] إلى ان المقدر ذي الحجة ، وقيل : المراد بالليالي العشر هي العشر الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء وقيل : العشر الأول من رمضان ، والصحيح هي عشر ذي الحجة[٨٦] وبه قال اللغويون[٩٠] وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على عظمة وأهمية العشر من ذي الحجة فعن ابن عباس ان الرسول ﴿ﷺ﴾ قال : (ما من أيام العملُ الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام يعنى عشر ذي الحجة ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء)[٩١]

وإذا كان المقصود من الليالي العشر هي ذي الحجة فما بالها منكرة ولم يقل والليالي العشر ؟وقد أجاب الزمخشري عن هذا بأن المراد ليال مخصوصة من بين جنس الليالي والعشر بعض منها [٩٢] .

وقد يكون للتنكير فائدة أخرى وهي تعظيم شأن هذه الليالي ورفعة قدرهن فإن التنكير يُؤتي به للتعظيم والتفخيم وقد ثبت تعظيم هذه الأيام في الحديث المقدم فحذف المميز للتعظيم و التفخيم ، والله اعلم .

ج. " وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ " {١٧١} [النساء]

في الآية نهي عن ذكر التثليث والنهي أسلوب من أساليب العربية يعبر بها المتكلم عن معنى من المعاني ويتم بواسطة (لا) الناهية .

وقد اختلف النحاة في تقدير قوله تعالى " ولا تقولوا ثلاثة " فذهب الزجاج[٩٣] إلى ان التقدير : آلهتنا ثلاثة ، فيكون ثلاثة خبر المبتدأ المحذوف (آلهتنا) والجملة الاسمية في محل نصب بالقول .

وذهب الفارسيّ[٩٤] إلى ان التقدير (الله ثالث ثلاثة) فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويبدو انه ذهب إلى هذا ليكون موافقاً لقوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة "

ويُرجح هذا التقدير لموافقته الدليل اللفظي فيكون من باب تفسير القرآن بالقرآن وعلى التقديرين فالمميز هو (اله)[٩٥] وجاء الحذف تنزيها وتعظيماً لاسم الله تعالى .

د. "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا "{٢٣٤}[البقرة]

يبدو ان المميز مؤنث لان العدد (عشراً) جاء مذكراً فذهب النحاة إلى تقدير مميز مؤنث ليتم الكلام على وفق الصناعة النحوية ولم يقل (عشرة) لان العرب إذا أبهمت العدد من الليالي

والأيام غلبوا عليه الليالي حتى أنهم ليقولون : قد صمنا عشراً من شهر رمضان ، لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام[٩٦] .

فالليلة أسبق من اليوم ، والأيام من ضمن الليالي ، فالتمييز المحذوف هو ليالٍ . ونقل عن المبرد ان المميز (مدة) يشمل المقدر اليوم والليلة [٩٧] .

فيخرج من الأشكال الذي وقع فيه من قدر المميز (بليلة) لان المتوفى زوجها تتربص بنفسها أربعة أشهر وعشر ليالٍ بأيامها .

ويرى القرطبي عدم صحة التأويلات السابقة فالمنقول عن الأصحاب – كما قال – انه إذا كان المعدود مذكراً وحذف ، يجوز ان يبقى العدد على ما كان عليه لو لم يحذف المعدود ، وكذا يجوز ان تحذف منه التاء ثم نقل عن الكسائي قولهم : صمت من الشهر خمساً ، يريد خمسة أيامٍ وعلى هذا ما جاء في الحديث الشريف (من صام رمضان ثم اتبعه بستٍ من شوال)[٩٨]

وبهذا فإن العدد يكون قطعي الدلالة في أمور العقيدة التي تتعلق بالوحدانية وفي آيات الأحكام أما الأعداد (سبعة ، وسبعون ، وألف) فقد جاءت في عدد من الآيات الدالة على الكثرة وقد دلت القرائن السياقية أو الخارجية على هذا وذلك ليلقي في الروع ببعض نفحات الإعجاز وهمسات البيان .

ثبت المصادر

١. آيات العدد في القرآن الكريم دراسة أسلوبية (رسالة ماجستير ،تقدمت بها :مها محسن البياتي ،بإشراف د. محمد سعيد الجبوري إلى جامعة تكريت ،كلية التربية)،٢٠٠٣م.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود (ت٩٥١ هـ) ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣. أسرار البلاغة :عبد القاهر الجرجاني(ت ٤٧١هـ) ،تح : محمد رشيد رضا ،دار المطبوعات العربية .

٤. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم : د. عبد الحميد يونس هنداوي،المكتبة العصرية ، بيروت ،١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م.

٥. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات : أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) مصطفى البابي الحلبي ،ط ١، ١٣٨٠هـ –١٩٦١م.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ،ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي ،(ت ١٣٠٥هـ) ،تح: عبد القادر عرفان،دار الفكر ،بيروت ،١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

٧. البحر المحيط :أبو حيان النحوي (ت٧٤٥هـ) دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٨. البرهان في علوم القرآن :بدر الدين محمد الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، لبنان ،١٤٠٠هـ –١٩٨٥م .
٩. التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٧هـ) ، تح : علي احمد البجاوي ، دار الجيل ،بيروت ، ١٩٨٧م .
١٠. التحرير و التنوير : ابن عاشور ، دار سحنون للنشر ،تونس ، ١٣٣٧م .
١١. التعريفات : الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تح :احمد مطلوب ،دار الشؤون الثقافية ، العراق ،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
١٢. تفسير الشعراوي : خواطر فضيلة الشيخ :محمد متولي شعراوي ،حول القرآن الكريم ،مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .
١٣. تفسير القرآن العظيم :لابن كثير الدمشقي ،(٧٧٤هـ) ،مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٧٥هـ – ٢٠٠٤م .
١٤. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي (ت٦٧١هـ) ،تح :احمد عبد العليم البردوني، دار الشعب ،القاهرة ،ط ٢ ،١٣٧٢هـ.
١٥. الحدود النحوية من النشأة إلى الاستقرار ،دراسة ومعجم)أطروحة دكتوراه ،زاهدة عبدا لله محمد ، كلية الآداب ،جامعة الموصل ،١٩٩٤)
١٦. دراسات نحوية في القرآن : احمد ماهر البقري ،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ، ط ٣ ،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
١٧. الدر المصون في علم الكتاب المكنون السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
١٨. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ،صححه وشرحه وعلق عليه : احمد مصطفى المراغي ، المطبعة العربية / بيروت.
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،لشهاب الديناالآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، القاهر ،٢٠٠٥م .
٢٠. شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك : خالد الأزهري (ت٩٠٥هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيس البابي الحلبي ، د . ت .
٢١. شرح الرضي على الكافية في النحو : رضي الدين الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٥م .
٢٢. شرح المفصل :لابن يعيش (ت٦٤٣هـ) ،عالم الكتب ،بيروت ،د . ت .

٢٣.صحيح البخاري :أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ) مكتبة الصفار ، القاهرة ،١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٢٤.صفاء الكلمة ، د.عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ . الرياض ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .
٢٥.ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي:طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية د.ت.
٢٦.العين : الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تح :مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي ،وزار الثقافة والإعلام ، ١٩٨١م .
٢٧.في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٩ ، ١٤١٠هـ – ١٩٨٠م .
٢٨.الكافية في النحو :ابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٨٥م .
٢٩.الكتاب : سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ،بيروت ، لبنان ، د.ت
٣٠.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تح :عبد الرزاق المهدي ، دار المعرفة ،بيروت ،١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
٣١.لسان العرب : ابن منظور (ت٧١١هـ) ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٣٢.معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) ، دار الحديث القاهرة ،ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٤م .
٣٣.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
٣٤.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب :ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ،مطبعة المدني ، القاهرة ، د. ت .
٣٥.مفاتيح الغيب : أبو عبدا لله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٤هـ) دار ،إحياء التراث العربي ،بيروت – لبنان ،٢٠٠١م .
٣٦.المقتصد في شرح الإيضاح : عبد القاهر الجرجاني ، تح : كاظم بحر المرجان منشورات وزارة الثقافة والإعلام ،العراق ، ١٩٨٢م .
٣٧.المقتضب : محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ،د. ت .
٣٨.منهاج الوصول إلى علم الأصول : القاضي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

هوامش البحث

(١) العين : ٣٩/١ .
(٢) الكتاب : ٣/ ٥٥٦ .
(٣) لسان العرب مادة (عدد) : ٤/ ٢٧٢ .
(٤) التعريفات : ٨٥ .
(٥) العدد وأدلته في الشعر قبل الإسلام : ٣٠ .
(٦) لسان العرب ، مادة (عدد) : ٤/ ٢٧٢ .
(٧) المصدر نفسه ، وينظر : منهاج الوصول إلى علم الأصول : ٨٨ .
(٨) الكافية : ٢/ ١٤٥ .
(٩) شرحه على الكافية : ٢ / ١٤٦ .
(١٠) شرح التصريح : ٢/ ٢٣٠ .
(١١) ينظر : شرح ابن عقيل :٢/ ١٦٣ ،والحدود النحوية من النشأة إلى الاستقرار : ٢٢٣ .
(١٢) المقتضب : ٣/ ١٨٥ .
(١٣) شرح المفصل : ٦/ ١٦ .
(١٤) ينظر: الإبهام معناه وتفسيره : ١٢٨ .
(١٥) أسرار البلاغة: ٤٧
(١٦) منهاج الوصول إلى علم الأصول : ٣/ ٩٧٢ .
(١٧) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ١٦١ .
(١٨) البرهان في العلوم :٤٦٦.
(١٩) التبيان للعكبري : ١/ ١٨٠ ، وينظر الدر المصون : ٥٥٣/١ .
(٢٠) دلائل الإعجاز : ١٣٢ .
(٢١) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٣٦ .
(٢٢) معاني القرآن ، للأخفش : ١/ ١٧٤ .
(٢٣) الكشاف : ١/ ٣٠ .
(٢٤) روح المعاني : ٢٨٥/٢ .
(٢٥) ينظر: الدر المصون : ٥٥٣/١ .
(٢٦) ينظر : المعجم المفهرس (سبع)
(٢٧) المصدر نفسه (تسع) .
(٢٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه : ٢٧٧/١، وتفسير القرآن العظيم : ٧٦/٥ .
(٢٩) تفسير البيضاوي :٢٧٧ .
(٣٠) المعجم المفهرس (سبط)
(٣١) ينظر: الدر المصون : ٤٢٤/٤ .
(٣٢) شرح الرضي على الكافية : ١٥٤/٢ .
(٣٣) المصدر نفسه
(٣٤) الدر المصون : ٣٥٧/٣ .

(٣٥) إملاء ما من به الرحمن : ١٦٥/١، وينظر الدر المصون ٣/ ٣٥٧ ، وإرشاد العقل السليم ٤١/٣ .

(٣٦) ينظر: الكشاف : ٣٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/٧ .

(٣٧) ينظر: تفسير الشعراوي : ٧/ ٤٣٩٣

(٣٨) ينظر معاني القرآن وإعرابه : ٤/ ٣٣٧، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ١٧٦ .

(٣٩) التحرير و التنوير : ١٠/ ٣٠ .

(٤٠) روح المعاني : ٣/ ٢٥١ .

(٤١) ينظر: مفاتيح الغيب : ٢٥/ ١٣٧ .

(٤٢) التحرير والتنوير : ٣١٠/٨ .

(٤٣) الكشاف : ٥٠٨/٣

(٤٤) البحر المحيط : ٧/ ١٨٧ .

(٤٥) مفاتيح الغيب : ٢٥/ ١٣٥ .

(٤٦) البحر المحيط : ١٨٦/٧ .

(٤٧) ينظر: تفسير البيضاوي : ١٩٩ .

(٤٨) ينظر: مغني اللبيب : ٢٨٣/١ ، التحرير والتنوير : ٥/ ٢٧٧ .

(٤٩) تفسير القرآن العظيم : ٤/ ١١١ .

(٥٠) منهاج الوصول إلى علم الأصول : ٣/ ٩٧٤ .

(٥١) الكشاف : ٢/ ٢٨٠ .

(٥٢) مغني اللبيب : ١/ ٢٨٤ .

(٥٣) معاني القرآن وإعرابه : ٥/ ٢٦٥ .

(٥٤) التحرير والتنوير : ٣/ ٤٥٩ .

(٥٥) دلائل الإعجاز : ١٢٣ .

(٥٦) مغني اللبيب : ٢٨٢/١ .

(٥٧) معاني القرآن وإعرابه : ٤/ ١٥٦ .

(٥٨) روح المعاني : ٢/ ٣٣٠ .

(٥٩) ينظر: اللسان : مادة (زحح)

(٦٠) ينظر : في ظلال القرآن : ٢/ ١٢٠ .

(٦١) ينظر: الدر المصون : ٣/ ٢٢٦ –٢٢٧ .

(٦٢) صحيح البخاري : ١٨٥/٣ .

(٦٣) ينظر: التحرير والتنوير : ٤/ ١٩٥ .

(٦٤) شرح الرضي على كافية : ١/ ٢١٧ ، معاني النحو : ٧٤٣/٢ .

(٦٥) المعجم المفهرس (صوم ، عشر ، ثلاث)

(٦٦) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٢٢٤ .

(٦٧) شرح المفصل : ١٩/٦ .

(٦٨) معاني القرآن وإعرابه : ١/ ٢٣١ .

(٦٩) الإعجاز الصرفي : ٥٠ .

(٧٠) البرهان في علوم القرآن : ٣/ ٣٧٢ .

(٧١) معاني القرآن وإعرابه :

(٧٢) ينظر: الجامع لإحكام القرآن ٢/ ٣٦١ .

(٧٣) روح المعاني : ٢/ ٦٦٠ .

(٧٤) معاني القرآن وإعرابه : ٢/ ٣٠١ .

(٧٥) الدر المصون : ٣/ ٣٢٧ .

(٧٦) الكشاف : ٢/ ٢٢٥

(٧٧) الدر المصون : ٣/ ٣٢٧ – ٣٢٨ .

(٧٨) الجامع لإحكام القرآن : ٨/ ١١٥ .

(٧٩) الدر المصون : ٦/ ٢٨٧ .

(٨٠) م . ن : ٦/ ٢٨٧.

(٨١) روح المعاني : ٢٨/ ٢٩٢ .

(٨٢) المعجم المفهرس (خفت، فجر ، ثلاث ، تربص) .

(٨٣) روح المعاني ٥٦٢/٨.

(٨٤) الكشاف : ٦٦٦ .

(٨٥) الدر المصون : ٥/ ٥٥ .

(٨٦) الجامع لإحكام القرآن ١١/ ٢٠٥ وينظر : إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٠٩ .

(٨٧) تفسير الشعراوي : ١٥/ ٩٣٨٤ .

(٨٨) ينظر : تفسير القرآن العظيم :٨/ ٢٤٥

(٨٩) م .ن : ٨/ ٢٤٥ .

(٩٠) لسان العرب : ٦/ ٢٦٠ .

(٩١) صحيح البخاري : ١٨٢ – (٩٦٩) .

(٩٢) الدر المصون : ٦/ ٥١٨ .

(٩٣) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ١٠٩ ، وينظر: روح المعاني :٦/ ٢٨٤ .

(٩٤) الدر المصون : ٢/ ٤٧٠ ،وينظر : الجامع لإحكام القرآن: ٦/ ٢٠ .

(٩٥) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي :١٨٠ .

(٩٦) ينظر : معاني القرآن ، للفراء : ١/ ١٥١ وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم:٣/ ٢٤٤ .

(٩٧) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣/ ٢٢٨ .

(٩٨) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٢٥٨ .